مسألة

فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه

لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية

تحقيق
الدكتور محمد رشاد سالم
الأستاذ بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله تبارك وتعالى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ، فهذه رسالة لم يسبق نشرها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله ، وهى واحدة من أربع رسائل مخطوطة فى مكتبة المكتب الهندى بلندن تحت رقم : دلهى عربى ١٨٥٧ . وأولى هذه الرسائل رسالة بعنوان « مسألة فيمن يعتقد أن الكواكب لها تأثير فى الوجود » وتشغل الصفحات من ظ ١٠٧ إلى ص ١١٦ . وقد سبق نشر هذه الرسالة ضمن الجزء الأول من مجموع الفتاوى الكبرى (ص ٣٢٣ - ٣٢٦) ، ط . فرج الله الكردى ، القاهرة ١٣٢٦ ، (وأعيد طبعها فى مجموع الفتاوى بالرياض) .

وأما الرسالة الثالثة فتقع فى الصفحات : ظ ١٢١ - ١٢٦ وتبدأ كمايلى :

«بسم الله الرحمن الرحيم .. أحمد بن تيمية إلى المولى السيد السلطان الملك المؤيد أيده الله ... » وهى رسالة لم تنشر بعد ، ونص فى أولها أنها لابن تيمية .

والرسالة الرابعة هى : مسألة فى قرب العبد إلى الرب وقرب الرب إلى العبد ، وسبق نشرها ضمن مجموع فتاوى الرياض (جـ ٥ ص ٢٢٦ - ٢٤٦) وتشغل هنا صفحات ١٢٦ - ١٣٧ .

وجميع هذه الرسائل مع الرسالة الثانية التى أحققها وأنشرها هنا بخط واحد وبنفس عدد السطور والكلمات .

أما رسالتنا فهى بعنوان : « فصل فيما إذا كان فى العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود فى نفسه » وتستغرق الصفحات ١١٧ – ١٢١ من هذه المجموعة .

وصف المخطوطة :

كتبت هذه الرسالة بخط نسخ حديث منقوط ، ومسطرتها ١٧ سطراً فى كل سطر حوالى ١١ كلمة ، ورقمت الصفحات فى أعلاها إلى جهة اليسار بأرقام عربية (الأرقام فى وجه الصفحات وليست فى ظهورها) ورقمت المكتبة الصفحات بأرقام أوربية .

وفى أعلى الصفحة الأولى من الرسالة كتبت : « مسألة فيما إذا كان العبد محبة » وفى وسط الصفحة كتب جزء من البسملة هكذا : بسم الله الرحمن ولم تظهر بقية البسملة وفى أسفل الصفحة ختم مكتبه الحكومة الهندية هكذا :

The Governement of India وفى وسط الختم كتب .Delhi Mss أى مخطوطات دلهى . وظهر رقم الصفحة فى أعلاها إلى اليسار وهو : ١١٧ .

وتبدأ الرسالة فى ظ ١١٧ . وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وفى السطر الثانى : « فصل : فيما إذا كان فى العبد محبة لما هو خير وحق » وبعد هذا حروف من كلمة « ومحمود » لم تظهر منها الدال ولم يظهر حرف الجر « فى » بعدها .

وأما الكلمات الأخيرة فى آخر صفحة من الرسالة وهى ص ١٢١ فهى : « والشقى من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

ولم ينص فى هذه الرسالة على أنها لابن تيمية ولكن وجودها بين ثلاث رسائل أخرى كلها لابن تيمية ، وكونها بنفس الخط وبنفس الهيئة ، فضلا عن أسلوبها وموضوعها ، كل هذا يجعلنى أكاد أجزم بكونها لشيخ الإسلام « ابن تيمية » رحمه الله .

وتلى رسائل ابن تيمية رسالة للغزالى كتبت بخط مختلف وهى رسالة المعارف العقلية للغزالى ، وضمت فى مجلد واحد إلى رسائل ابن تيمية السابقة .

ولم ينص على اسم ناسخ هذه الرسائل ، ولكن ذكر في الرسالة الأولى أنها : « ملك الفقير أحمد الباسطي بن عبد الباسط ثم ملكه عبد الرحمن أحمد خادم الإمامين الأعظمين » .

ولعل موضوع هذه الرسالة الصغيرة هو أجمل موضوع وأقربه إلى المناسبة التي ضمت هذه المجموعة من الأبحاث والمقالات ، أعني مناسبة تكريم أخي وأستاذي الأستاذ محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، مد الله تعالى في عمره ونفع بعلمه المسلمين .. اللهم آمين .

محمد رشاد سالم



الصفحة الأولى من الرسالة ص ١١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في ان اللذة في العبد بحسب ما هو محبوب [illegible]

نفسه هو فعل الملائم المحبوب له ولهذا [illegible] الشر [illegible]

حب الاجسام التي [illegible] والحاجات [illegible] المعرفة [illegible] [illegible] حب العلم

وادراك الحقيقة وحب الصدق والوفاء بالعهد [illegible] الايمان ووصف الرب

في نفسه الشيء [illegible] [illegible] [illegible]

العالية العلية التي لا العلم يطلبون محبة والحمد قال [illegible]

الامام احمد بن حنبل [illegible] العلماء [illegible] رحمه الله تعالى [illegible]

والمرء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الله [illegible]

محبة المعرفة والعلم ادراك الحقائق [illegible] محبة الاحسان والعدل

والوفاء بالعهد فلو [illegible] محبة الاجسام والرحمة [illegible]

الامور [illegible] الى [illegible] الحاجة [illegible]

[illegible] ادراك [illegible] [illegible]

وسرور [illegible] سماع الاصوات الحسنة [illegible] الاشياء [illegible]

ومحبة الروائح الطيبة [illegible] [illegible]

[illegible] الباطنة [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الامور [illegible]

ظهر الصفحة الأولى ط ٧٧

ومثال اليمين ثواب وعقاب فإن الثواب إنما هو بما تجد النفوس من نعيم
به والعقاب إنما هو بما تجد النفوس من تعذيب به وذلك إنما أو يعد
الأجسام من لا يحس من الجنة بعد فهو أسماء ما يوجد في الدنيا لأجل
موافقة النحو في تحسين ذلك في النهي والوعد والوعيد وإن الأمر والنهي
والوعد والوعيد هو تأديب للعامة والتنبيه على معنى الآخرة أشبه
بالمعاني الحقيقية والمعاني الحقيقية هي ما يدل على الإيمان
بالشرع والعبادة والعبادة التي يطلع الذين يعلمون أن
أعمال الجوارح في الآخرة والتنبيه على التحقيق العقل الذي يحاذي
الشريعة فهذا هو ما [illegible]

الصفحة الأخيرة من الرسالة ص ١٣١

/ مسألة فيما إذا كان [فى] العبد محبة ص ١١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

/ بسم الله الرحمن الرحيم ظ ١١٧

فصل

فيما إذا كان فى العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود [فى][١] نفسه ، فهو يفعله لما فيه من المحبة له ، لا لله ، ولا لغيره من الشركاء ، مثل أن[٢] يحب الإحسان إلى ذوى الحاجات ، ويحب العفو عن أهل الجنايات ، ويحب العلم والمعرفة[٣] وإدراك الحقائق ، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم ، فإن هذا كثير غالب فى الخلق فى جاهليتهم وإسلامهم ، فى قوتى النفس العلمية والعملية ، فإن أكثر طلاب العلم يطلبونه محبة ، ولهذا قال أبو داود للإمام أحمد بن حنبل : طلبتُ هذا العلمَ – أو قال – : جمعته لله ؟ ، فقال : لله عزيز ، ولكن حُبِّبَ إلىَّ أمر ففعلته .

وهذا حال أكثر النفوس ، فإن الله خلق فيها محبة للمعرفة والعلم وإدراك الحقائق ، وقد يخلق فيها محبة للصدق والعدل والوفاء بالعهد ، ويخلق فيها محبة للإحسان والرحمة للناس ، فهو يفعل هذه الأمور : لا يتقرب بها إلى أحد من الخلق ، ولايطلب مدح أحد ولا خوفا من ذمّه ، بل لأن هذه الإدراكات والحركات يتنعّم بها الحىُّ ويلتذُّ بها ، ويجد بها فرحاً وسروراً ، كما يلتذ بمجرد سماع الأصوات الحسنة ، وبمجرد رؤية ، الأشياء البهجة ، وبمجرد الرائحة الطيبة .

---

(١) فى الأصل طمست الحروف الأخيرة من السطر بحيث تقرأ : وحق ومحمو ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) أن : مطموسة فى الأصل .

(٣) والمعرفة : مطموسة فى الأصل .

وكذلك يلتذ ويفرح ويتنعّم بمعرفة نفسه للأشياء التى تُعرف بالباطن ، ويلتذ أيضا بشهود باطنه وإحساسه ، كما يلتذ بشهود ظاهره وإحساسه ، وكذلك يلتذ بما تعقله نفسه من الأمور الكلية / التى تعقلها ، وكذلك فى أفعاله وحركاته ، كما يلتذ بأكله وشربه ونكاحه ، وكما يلتذ برحمته وإحسانه ص ١٠٠ إلى أهل الحاجات من أقاربه وغير أقاربه ، ويلتذ بالجود والإعطاء ، ويلتذ بالعفو عن المسىء إليه وترك معاقبة المسىء ، كما يُذكر عن المأمون أنه قال : لقد حُبِّب إلىّ العفو حتى إنى أخاف ألا أثاب عليه .

فهذه مكارم الأخلاق التى تكون فى بنى آدم ، كما كانت تكون فى أهل البادية ، فهذا الحس وهذه الحركة الإرادية يتنعّم به الحى وينتفع به ويلتذ فى الحال .

ولا يُقال : إن فعل ذلك لغير غرض ولا لجلب منفعه أو دفع مضرة ، بل فيه جلب منفعه ودفع مضرة فى نفسه ، كما فى نفس الآكل والشارب يستجلب به منفعة الشبع ، ويستدفع به مضرة الجوع ، فهكذا سائر هذه الأمور يدفع بها عن نفسه مضرات ، ويستجلب لها بها لذات .

ولهذا يُقال : اشتفت نفسه ، وشفيت صدرى ، فيجد شفاءً فى صدره ، كما يجد شفاءً فى جسمه بزوال المرض وحصول العافية .

وهذه أمور محسوسة بالباطن والظاهر ، وهى التى أدرك حسنها من قال : إن العقل يُقبّح ويُحسِّن ، ومن قال : إن العلم بحسنها لِصفة قائمةٍ بها معقولةٍ : إما بالبديهة وإما بالنظر ، أو معلومة بالشرع .

ولقد صدق فى قوله : إن حسنها وقبحها لِمعنى قام بها ، وصدق أن ذلك قد يُدْرَك بالعقل ، وقد يدرك بالشرع .

وقد غلط الأول فى نفيه [١] أن يكون ذلك لمافيه من جلب منفعة إلى العبد ودفع مضرة راجعة إلى نفسه ، وإن كان ذلك فى الدار الآخرة أيضا ، فإن / ذلك أمر محسوس . ظ ١١٨

والثانى[٢] غلط حيث اعتقد أن ذلك ليس لصفة فى الفعل ، وأن الحُسن والقُبح ليس إلا مجرد

---

[١] فى الأصل : فى نفسه ، ولعل الصواب ما أثبته . وابن تيمية يعقب هنا على الآراء المختلفة فى هذا الموضوع ، ولعله يقصد بالأول الكلام الذى سبق ذكره وفيه : « لا يقال : إن فعل ذلك لغير غرض ولا لجلب منفعه أو دفع مضرة ... إلخ » .

[٢] الرأى الثانى الذى يشير إليه ابن تيمية هو رأى الأشاعرة فى مسألة الحسن والقبح .

إضافة الفعل إلى الأمر والنهى ، فأصاب بعض الإصابة فى كونه جعل ذلك من الملاءمة للطبع والمنافرة عنه ، ومن باب كمال المتصف بذلك ونقصه ، ولكن غلط فى ظنه أن الحُسن والقُبح العقليين صادرَيْن عن ذلك ، ولم يغلطا كل الغلط ، فإن الحُسن والقبح : الذى يُدرك بالحس وبالعقل وبالشرع ، وبالبصر والنظر والخبر ، بالمشهور الظاهر وبالباطن ، وبالمعقول القياسى وبالأمر الشرعى ، هو فى الأصل من جنس واحد ، فإن كلاًّ يُعْلَم بذلك ، يثبت به مالا يُعلم بالآخر ويثبت به .

طرق العلم الثلاثة

وهذه الطرق الثلاثة : السمع ، والبصر ، والعقل ، هى طرق العلم :

١ – البصر

فالبصر – وهو المشهود الباطن والظاهر – يدرك مافى هذه الحركات والإرادات من الملاءمة والمنافرة ، والمنفعة والمضرة العاجلة .

٢ – السمع

والسمع – وهو وحى الله وتنزيله – يخبر بما يقصُر الشهود عن إدراكه من منفعة ذلك ومضرته فى الدار الآخرة .

فتمام الدين بالفطرة وتقديرها ، لا بتحويلها وتغييرها ، فإن كل مولود يولد على الفطرة ، والله خلق عباده حُنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرَّمت عليهم ماأحل الله لهم ، وأمرتهم أن يشركوا به مالم ينزِّل به سلطانا . هكذا أخبرنا الله فيما روى عنه رسوله فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم[1] .

فهم بفطرتهم يحبون الله وحده ويحبون تناول مايحتاجون إليه من الطيِّبات ، والمحبة تتبع الشهود والإحساس ، فهذا الذى فى فطرهم من الحس والحركة إلى عبادة خالقهم مما يعينهم / عليها من طيبات الرزق ، هو وجه الحُسن الثابت بالأفعال الحسنة : مأمورِها ومباحِها ، فإن ذلك كله حسن ، لما فيه من هذه الملاءمة المناسبة والمحبة التى فطروا عليها ، فما كان من ذلك مشهودا فى عالم الشهادة أُدرك بالشهود والإحساس ، وماكان غيباً أُدرك بالسمع الذى جاء به المرسلون . ص ١١٩

[1] الحديث عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه فى : مسلم ٤ / ٢١٩٧ – ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله : ... أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته : ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم ... وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرَّمت عليهم ماأحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا والحديث مع اختلاف فى اللفظ فى المسند =

٣ – العقل (القلب)

والقلب يعقل هذا المشهود وهذا المسموع ، فلابد من أن يعقل ماأمر الله به وأخبر ، كما لابد أن يعقل ماشهدنا وحسسنا ، فيعقل الشهادة والغيب ، بمعنى ضبط العلم بجريان ذلك على وجه كلّيّ ثابت فى النفس .

لكن زَعْم أولئك أن العقل يُدرِك من حسن الفعل وقبحه مافيه ملاءمة باطل[1] ، كما أن زعم أولئك أن الشرع يأتى بحسن أو قبح لا ملاءمة فيه باطل ، فأولئك إنما نفوا ذلك لأنهم أرادوا أن يثبتوا للرب من جنس ماعقلوه فى البشر ، وأنكروا الملاءمة فى حقه والمنافرة . وهؤلاء أرادوا أن يثبتوا شرعاً محضاً مبنياً على محض المشيئة ليس فيه ملاءمة ولا منافرة ، وكلا الفريقين أنكر حقيقة محبة الله ورضاه للأفعال الحسنة ، وبغضه للمسيئين بها ، وهذا هو المعنى الذى يُعبِّرون عنه فى حقنا : الملاءمة والمنافرة ، وإنما أتوا من جهة مافيهم من نوع تجهم[2] .

ولهذا أنكر أولئك – مع إنكارهم هذه الصفات – أنكروا القدر ، وهو عموم قدرته ومشيئته وخلقه ، وأنكر هؤلاء مافى الشريعة من المناسبات والمحاسن التى انطوى عليها الأمر والنهى ، وأنكروا أيضا مافى خلقه ومشيئته من الحكمة والرحمة .

= (ط . الحلبى) ٤/١٦٢ .

[1] يقصد ابن تيمية بذلك المعتزلة وأمثالهم ممن يقولون بأن العقل وحده – بدون الشرع – كافٍ فى إدراك الحسن والقبح ، وأن حكم العقل يغنى عن الشرع ، أو أن الشرع تابع فى حكمه لحكم العقل .

[2] يقول ابن تيمية فى « فصل فى مسألة تحسين العقل وتقبيحه » (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٨ : ٤٣١ – ٤٣٦ ، طبع الرياض ١٣٨١) : « فالناس فى مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقوال : طرفان ووسط . الطرف الواحد : قول من يقول بالحسن والقبح ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل لازمة له ، ولا يجعل الشرع إلا كاشفا عن تلك الصفات ، لاسببا لشىء من الصفات ، فهذا قول المعتزلة ، وهو ضعيف . وإذا ضم إلى ذلك قياس الرب على خلقه ، فقيل : ماحسن من المخلوق حسن من الخالق ، وماقبح من المخلوق قبح من الخالق ترتب على ذلك أقوال القدرية الباطلة ، وماذكروه فى التجوير والتعديل ... وأما الطرف الآخر ... فهو قول من يقول : إن الأفعال لم تشتمل على صفات هى أحكام ، ولا على صفات هى علل للأحكام ، بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر لمحض الإرادة ، لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة فى الخلق والأمر . ويقولون : إنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله ، وينهى عن عبادته وحده ، ويجوز أن يأمر بالظلم والفواحش ، وينهى عن البر والتقوى ، والأحكام التى توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط ، وليس المعروف فى نفسه معروفاً عندهم ولا المنكر فى نفسه منكرا عندهم ... ليس فى نفس الأمر عندهم لامعروف ولا منكر ولا طيب ولا خبيث ، إلا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطباع ، وذلك لايقتضى عندهم كون الرب يحب المعروف ويبغض المنكر ... وهذا خلاف المنصوص والمعقول ، وقد قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وعندهم تعلق الإرسال بالرسول كتعلق الخطاب بالأفعال ، لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق ولابعده =

فهؤلاء أثبتوا القدرة والمشيئة والخلق ، ولكن قصَّروا في إثبات الرحمة والحكمة والعدل ، وأولئك / أثبتوا شيئا من الحكمة والعدل ، ولكن قصَّروا في ذلك أيضاً ، مع تقصيرهم في القدرة والمشيئة والخلق ، وإن كان كل من الفريقين لاينكر أمر الشرع ونهيه . ظ ١١٥

لكن غلاة أولئك دفعوا بعقولهم كثيرا مما جاء به الشرع من الأمر والنهي ، وقالوا : هذا يخالف الحكمة المعقولة ، كما فعل إبليس وذووه . وغلاة هؤلاء دفعوا أيضا الأمر والنهي وقالوا : لو شاء الرحمن ماعبدناهم ، كما قال المشركون . وإبليس أغلظ كفرا ، ولهذا كانت بدعة أولئك أقرب إلى السنة والجماعة .

وهذه الأمور التي تحبها النفوس والقلوب بفطرتها هي المعروف ، والتي تبغضها هي المنكر ، فإن المعرفة هي إحساس مع محبة ، والإنكار إحساس مع بغضة . فأما ما لم يُحَسّ بحال فلا [1] يُعرف ولاينكر ، ومالا يُحب ولا يبغض بحال فلا يُعرف ولا ينكر . وإذا حُدِّث الرجل بحديث فأنكره لجهله

= والفقهاء وجمهور المسلمين يقولون : الله حرم المحرمات فحرمت ، وأوجب الواجبات فوجبت ، فمعنا شيئان : إيجاب وتحريم ، وذلك كلام الله وخطابه . والثاني : وجوب وحرمة ، وذلك صفة للفعل . والله تعالى حكيم : عليم بما تضمنه الأحكام من المصالح ، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي والمأمور والمحظور من مصالح العباد ومفاسدهم ، وهو أثبت حكم الفعل ، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون الخطاب .

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أحدها : أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يَرِد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن . لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة ، إذا لم يرد شرع بذلك . وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح فإنهم قالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ، ولو لم يبْعث إليهم رسولا ، وهذا خلاف النص .

النوع الثاني : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحا ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد : هل يطيعه أم يعصيه ؟ ولايكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح ... فالحكمة منشؤها من نفس الأمر ، لا من نفس المأمور به .

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبح لايكون إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع .

والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان ، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع .

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب .

[1] في الأصل : ولا ، وهو تحريف .

فإنه أنكر مالا أحبه سمعه ، وكذلك الحديث المنكر عند أهل الحديث هو مالم يسمعوه فيحبوه لصحته وصدقه ، فإذا سمعوه بذلك أنكروه بعد إحساسه .

والمقصود هنا أن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذموماً بل محموداً ، ومن فعل هذه الأمور لأجل هذه المحبة لم يكن مذموماً ولا معاقباً ، ولايُقال إن هذا عمله لغير الله ، فيكون بمنزلة المرائى والمشرك ، فذاك هو الشرك المذموم . وأما من فعلها لمجرد المحبة الفطرية فليس بمشرك ولا هو أيضا متقربا بها إلى الله ، حتى يستحق عليها ثواب من عمل لله وعبده ، بل قد يثيبه عليها / بأنواع من الثواب : إما ص ١٢٠ بزيادة فيها فى أمثالها ، فيتنعّم بذلك فى الدنيا ، ولهذا كان الكافر يُجزى على حسناته فى الدنيا وإن لم يتقرب بها إلى الله ، ولو كان فِعْلُ كل حَسَنٍ إذا لم يُفعل لله مذموماً يستحق به صاحبه العقاب لما أُطعم الكافر بحسناته فى الدنيا إذا كانت تكون سيئاتٍ لا حسنات ، وإذا كان قد يتنعّم بها فى الدنيا ويُطعَم بها فى الدنيا ، فقد يكون من فوائد هذه الحسنات ونتيجتها وثوابها فى الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه ، فيكون له عليها أعظم الثواب فى الآخرة .

وهذا معنى قول بعض السلف : طلبنا العلم لغير الله فأبى [1] أن يكون إلا لله . وقول الآخر لما قيل له : إنهم يطلبون الحديث بغير نيّة ، فقال : طلبهم له نيّة ، يعنى نفس طلبه حسن ينفعهم . وهذا قيل فى العلم لخصوصيته ، لأن العلم هو الدليل المرشد ، فإذا طلبه بالمحبة وحصّله عرّفه الإخلاص لله والعمل له .

ولهذا قال من قال : هو من النظر الأول الذى هو مُقدمة العرفان ، فإن القصد والنية مشروط بمعرفة المقصود المنوى به ، فإذا لم يعرفه بعدُ كيف يتقرب إليه ؟ فإذا نظر بمحبة أو غيرها فعلم المعبود المقصود صح حينئذ أن يعبده ويقصده . وكذلك الإخلاص كيف يخلص من لم يعرف الإخلاص ؟ فلو كان طلب علم الإخلاص لايكون إلا بالإخلاص لزم الدَّوْر ، فإن العلم هو قبل القصد والإرادة من إخلاص وغيره ، ولا تقع الإرادة والقصد حتى يحصل العلم .

وعلى هذا فماذكره الإمام أحمد عن نفسه / هو حسن ، وهو حال النفوس المحمودة المستقيم ك ١٢٠

[1] فى الأصل : فأبا .

حالها . ومن هذا قول خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق . فهذه الأمور كان يفعلها محبة لها خُلق على ذلك وفُطر عليه ، فعلمت أن النفوس المطبوعة على محبة الأمور المحمودة وفعلها لايوقعها الله فيما يضاد ذلك من الأمور المذمومة ، لما قال لها : قد خشيتُ على نفسي . قالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً .. الحديث وهو في الصحيحين[1] .

وقد تنازع الناس في النبوة : هل هي مجرد إنباء الله لعبده ، أو هي راجعة إلى صفات كمالٍ فيه ؟ كما تنازعوا في النبوة : هل هي مجرَّد تعلق خطاب الشارع ، أو هي راجعة إلى صفات يتميز بها ، ولابد من خطاب إلهي أو إنباء ؟[2] ولهذا كانت النبوة أجزاءً ، كما قال النبي ﷺ : الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جُزءًا من النبوة – رواه أهل السنن[3] ، فهذا في العمل . وقال في العلم : الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءا من النبوة[4] . وقال : ثلاث من أخلاق المرسلين[5] .

---

(١) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في عدة مواضع في صحيح البخاري .

انظر مثلا فتح الباري (ط . السلفية) ١ / ٢٢ حديث رقم ٣ (كتاب بدء الوحي ، الباب الثالث) ، ٨ / ٧١٥ حديث رقم ٤٩٥٣ (كتاب التفسير ، سورة إقرأ) .

وهو في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أيضا (بشرح النووي) ٢ : ١٩٧ – ٢٠٥ (كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي) .

وفي المسند (ط . الحلبي) ٦ / ٢٢٣ ، ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٢) في الأصل : بناء ، ولعل الصواب ماأثبته .

(٣) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في : سنن أبي داود (بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد) ٤/ ٣٤٣ (كتاب الأدب ، باب في الوقار) وأوله : إن الهدى الصالح ... إلخ

وجاء الحديث في المسند (ط . المعارف) ٤ / ٢٤٤ – ٢٤٥ (رقم ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩) .

(٤) الحديث عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم في :

فتح الباري ١٢ / ٣٧٣ رقم ٦٩٨٨ ، ٦٩٨٩ (كتاب التعبير ، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة ...) ، ١٢ / ٤٠٤ رقم ٧٠١٧ (كتاب التعبير ، باب القيد في المنام)

صحيح مسلم (بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي) ٤ / ١٧٧٤ رقم ٢٢٦٣ ، ٢٢٦٤ (كتاب الرؤيا ، الأحاديث من ٦ – ٨) .

سنن أبي داود ٤ / ٤١٦ (كتاب الأدب ، باب ماجاء في الرؤيا) .

سنن الترمذي (نشر الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان) ٣ / ٣٦٣ (كتاب أبواب الرؤيا ، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين ...) ، ٣ / ٣٦٦ (كتاب أبواب الرؤيا ، باب ماجاء في تعبير الرؤيا) وهذا الحديث عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه . وجاء الحديث في المسند وفي سنن ابن ماجة .

(٥) في الأصل : ثلث من أخلاق المرسلين ، وبعد هذه العبارة بياض بمقدار عشر كلمات تقريبا ، ولم أجد هذا =

وهذا الحب والإحساس الذى خلقه الله فى النفوس هو الأصل فى كل حُسن وقُبح ، وكل حمد وذم ، فإنه لولا الإحساس الذى يُعتد به فى حب حبيب وبغض بغيض لما وجدت حركة إرادية
ص ١٧٦ أصلاً تحرك شيئا [١] من الحيوان باختياره ، / ولما كان أمر ونهى وثواب وعقاب ، فإن الثواب إنما هو بما تحبه النفوس وتتنعم به ، والعقاب إنما هو بما تكره النفوس وتتعذب به ، وذلك إنما يكون بَعْد الإحساس ، فالإحساس والحب والبغض هو أصل مايوجد فى الدنيا والآخرة من أمور الحى ، وبه حَسُنَ الأمر والنهى والوعد والوعيد . وذاك الأمر والنهى والوعد والوعيد هو تكميل للفطرة ، وكل منهما عون على الآخر ، فالشريعة تكميل للفطرة الطبيعية ، والفطرة الطبيعية مبدأ وعون على الإيمان بالشرع والعمل به ، والعبد من دان بالدين الذى يصلحه فيكون من أهل [العمل] الصالح [٢] فى الآخرة ، والشقىّ من لم يتبع الدين ويعمل العمل الذى جاءت به الشريعة ، فهذا هذا ، والله أعلم .

= الحديث ولكنى وجدت حديثا بمعناه ذكره السيوطى فى « الجامع الكبير » ونصه : « ثلاث من أخلاق النبوة : تعجيل الإفطار ، وتأخير السحور ، ووضع اليمين على الشمال فى الصلاة » . ثم قال السيوطى : (طب = الطبرانى فى المعجم الكبير ، عن أبى الدرداء) .

(١) فى الأصل : شيء . وهو خطأ .

(٢) فى الأصل من أهل الصالح ، ولعل الصواب ما أثبته .